الأهرام

المصدر : الرابطـــــــــــــــة

التاريخ : ٢٨ جمادى الاخر ١٤١٠ هـ

جريمة العصر في بلغاريا

العنصرية والماركسية وراء عمليات التهجير

في أوائل شهر أيلول/ سبتمبر قام وفد من الصحافيين في جمهورية قبرص الشمالية التركية بزيارة لبعض المراكز التى يتجمع فيها المسلمون الاتراك النازحون قسرا وقهرا من بلغاريا . الزيارة كانت فرصة للاطلاع عن كثب على حجم المأساة التى يعانيها هؤلاء النازحون ، وحجم الجريمة التى ترتكبها سلطات صوفيا بحق مليونين الى ثلاثة ملايين مسلم من اصل تركى ، في مايلي بعض الانطباعات عن هذه الزيارة ، منقولة عن السنة عدد من هؤلاء النازحين وكتبها شاهد عيان :

عجوز ثمانيني يعتمر قلنسوه سوداء تغطي شعره الأبيض ، وقد امتلأت صفحات وجهه بالاخاديد التي تروي كل منها حكايات كثيرة من مأساة كبيرة وتراخت يداه بعروقهما النافرة في انكسار ملحوظ .

كان يجلس مقرفصا كانه لا يقدر بعد على الوقوف ، وعيناه متسمرتان في البقعة الصغيرة من الأرض التي يتمد عليها ظله الأسود الصغير ، فكانما يناجي نفسه في صمت مشحون بالألم والحسرة .

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

لم يكن هذا الجد الا جزءا صغيرا من صورة مأساوية شاملة لم ترسمها يد فنان معاصر بل رسمتها أياد خبيرة في احدى ابشع عمليات التنكيل والتشريد الجماعي التى عرفتها البشرية في هذا القرن .

هنا إلى اليسار امرأة غطت معظم راسها بمنديل اسود واسندت وجهها على صفحة يدها وهي تنظر الى فراغ بعيد في حالة من الشرود . الى جانبها رجل اربعيني تشابكت اصابعه تحت ذقنه غير الحليقة وقد جمدت عيناه فى فراغ يمتد الى ما لا نهاية . على غير مبعدة بضعة اطفال يلهون بحقائب سفر قليلة اعدت على عجل لتحمل ماتيسر حمله مما خف وزنه وندر وجوده .

«جريمة» في القانون البلغارى ؟

هذه العائلة الصغيرة ليست سوى حفنة من عشرات الالاف من العائلات التى ارتكبت «جريمة» ان تكون مسلمة ذات جذور تركية ومقيمة في دولة شيوعية تدعى بلغاريا . وقد كلفتها هذه الجريمة ثمناً لم تدفع مثله أية أقلية في أية دولة من دول العالم المتحضر . والثمن يتلخص في ان المسلمين الاتراك المقيمين في بلغاريا منذ اكثر من ٥٠٠ سنة والذين تقول التقديرات ان عددهم يتراوح مابين المليونين والثلاثة ملايين نسمة ، أى ماتصل نسبته الى ١٧٪ من مجموع عدد السكان ... قد وضعوا عن سابق تصور وتصميم وعمد امام ثلاثة خيارات لا رابع لها :

١ ـ ان يقبلوا بالاندماج بشكل كامل في المجتمع العرقي البلغاري .. وهذا الامر يفرض عليهم اول مايفرض تغيير اسمائهم التركية الاسلامية الى اسماء اخرى بلغارية ، وان يتوقفوا عن أداء شعائرهم الدينية سواء في الأماكن العامة او من داخل منازلهم .. وان يلزموا اطفالهم بالتعلم في المدارس الرسمية البلغارية وفق البرامج التى تضعها السلطات الشيوعية هناك والتى تتضمن الغاءً كاملاً للدين .. وبالطبع الا يستخدموا لغتهم الام في أي ظرف وأي مكان .

٢ ـ أن يرفضوا الرضوخ لهذه المطالب وعندها لايملكون سوى أن يواجهوا ابشع حملات الضغط النفسي والتنكيل الجسدي والممارسات التى تجعل من حياتهم جحيما لا يطاق .

٣ ـ ان يغادروا البلاد التي عاش فيها اجدادهم منذ مئات السنين وكان لهم دور رئيسي في بنائها .

كل الخيارات الثلاثة اكثر مرارة من الاخرى ، وان كان بدا واضحا للمراقبين المحللين ان السلطات البلغارية كانت في واقع الحال تدفع المسلمين الاتراك قسرا وقهرا الى اعتماد الخيار الاخير . كي يتنسى لها «تنقية» المجتمع من عناصر تعتبرها شاذة وخطرة لا على ماتسميه العرق البلغاري فحسب ـ وهو ماينكر بما قامت به النازية في وقت من الأوقات ـ بل وايضا على النظام الشيوعي الذي يشكل الدين ، وخصوصا الاسلامي ، ابرز مايواجهه من اخطار وتحديات .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

يؤكد هذا كله ان عملية التهجير الجماعي للمسلمين الاتراك في بلغاريا مرت حتى الان بثلاث مراحل ، كانت الأولى في مطلع هذا القرن ، وبالتحديد منذ عام ١٩٠٠ م الى مابعده بسنوات عندما عمدت السلطات البلغارية الحاكمة الى تقسيم المسلمين بالتساوي بين جنوب البلاد وشمالها الشرقي ، لم تكن حينئذ قد اخذت الماركسية طريقها الى الحكم في اي مكان من العالم ، الهدف من هذه العملية واضح ، تخفيف ثقل كلمة الاسلام وتحجيم نسبتها في بعض المناطق ، وكان من شأن الممارسات التي تعرض لها المسلمون الاتراك في ذلك الوقت ان هاجر نصف مليون منهم الى تركيا .

المرحلة الثانية بدأت منذ حوالي ٢٥ عاما وتمثلت بحملة مكثفة قامت بها سلطات الحكم في صوفيا للحد من استخدام الوسائل الاعلامية في نشر اللغة والثقافة التركية والمعتقدات الدينية الاسلامية ، فكان ان اغلقت محطة الاذاعة التي كانت تبث برامجها الدينية والثقافية المنوعة باللغة التركية لأبناء الاقلية المسلمة ، بالاضافة الى اغلاق الصحف التركية وحظر نشر أى مطبوعات تتناول موضوعاتها من قريب او بعيد شؤون الاقلية المسلمة او نشر اخبارها .

اما المرحلة الثالثة التي شهد العالم مؤخرا بعض ابشع فصولها فقد بدأت قبل عشر سنوات كان خلالها المسلمون الاتراك يعانون كل مايمكن تصوره من اشكال الاضطهاد والتعسف والقهر وقد بلغت هذه الحملة اوجها في ديسمبر/كانون اول ١٩٨٤ بأرغام المسلمين على تغيير اسمائهم ، ثم باغلاق المساجد وتحويلها الى منشآت سياحية ، واعتبار ممارسة الشعائر الإسلامية كالصلاة عداء للنظام السياسي يعاقب من يمارسها بالسجن ويعتبر متمردا على المجتمع ولا يدين بالولاء للماركسية .

تحايل لطمس الحقائق

لعل أبرز مايمكن التوقف عنده هنا ،

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وأكده عدد كبير من الصحافيين الغربيين الذين اتيح لهم دخول بلغاريا ومتابعة حملة اضطهاد المسلمين الاتراك عن كثب ، هو اسلوب التحايل الذي اعتمدته السلطات البلغارية لطمس حقائق مايجري واخفائها عن عيون العالم .

على سبيل المثال فان سلطات صوفيا كانت تنفي باستمرار قيامها بأي شيء غير عادي حيال الاقلية التركية المسلمة ، رغم ان رئيس اللجنة الدولية للاقليات في لندن قد اتهم علنا عام ١٩٧٩ حكومة صوفيا باضطهاد الاقلية المسلمة بمنع افرادها من ممارسة شعائرهم الدينية وتهديدهم بالسجن اذا اتبعوا تعاليم الاسلام ورفض قيد المواليد بأسماء اسلامية ورفض مراسم الزواج ودفن الموتى بالطرق الاسلامية ومنع المسلمين من استخدام وسائل المواصلات العامة .

لكن هذه السلطات ، وحيال تزايد موجة الاستنكار عمدت الى اسلوب مبتكر في اخفاء الحقائق ، فدعت عددا من الشخصيات وبينها رجال دين مسلمون الى زيارة بلغاريا والاطلاع عن كثب على اوضاع المسلمين .

وماكان يحصل ان المساجد المغلقة كانت تفتح فجأة قبيل وصول الزائر بساعات كما تخرج الكتب الاسلامية من المستودعات ، ويوضع عدد منها فوق الرفوف المرتبة بعناية ، ويكلف عدد من عناصر المخابرات بتمثيل اداء الشعائر الدينية .. وبالطبع فان اجوبة هؤلاء معروفة إذا ماشاء الزائر ان يتحدث اليهم ويسألهم عن احوال الطائفة الاسلامية وعن صحة مايشاع من اضطهاد السلطات البلغارية لها .

هذه «التمثيلية» لا تدوم سوى بضع ساعات يغادر بعدها الزائر البلاد ، فيعود حال المسجد الى ماكان عليه ، فتغلق ابوابه ويلقى بالكتب الدينية الى

● ٣٢٠ ألف مسلم نزحوا قسرا بقرار من السلطات البلغارية

● التحرك الاسلامى المنظم .. كفيل بحفظ حقوق المسلمين البلغار

المستودعات . ومما يدعو للاسف ان هذا النوع من التحايل قد انطوى على الكثير من دول العالم ، فظلت تتجاهل كافة نداءات الاستغاثة التى وجهها المسلمون الاتراك في بلغاريا عبر ماتيسر لهم من وسائل .

النتيجة ان العالم فتح عينيه فجأة وهو يرى بذهول مشاهد يعجز عن وصفها لأعداد من المسلمين الاتراك وهم يعبرون الحدود الى تركيا الوطن الام . في البدأ كان الرقم بالعشرات ، ثم ارتفع خلال فترة قصيرة الى المئات ، فالالاف ، وعشرات الالاف .

كيف نحمى حقوق النازحين ؟

السلطات التركية فتحت ابوابها لاستقبال تلك الاعداد الهائلة من النازحين الذين تركوا وراءهم كل مايملكون من بيوت ومتاجر ومزارع ، ولم يتمن لهم ، او بالاحرى لم تسمح لهم السلطات البلغارية سوى حمل القليل من المتاع ، فضلا عن مبالغ لا تتجاوز الخمسين دولار للشخص الواحد وبالعملة البلغارية (الليفة) .

وفي زمن قياسي بلغ عدد هؤلاء النازحين ٣٢ ألفا ، مما دفع السلطات التركية الى اتخاذ قرار كي تحفظ حقوق هؤلاء وحقوق الاخرين ممن لا زالوا في بلغاريا ينتظرون دورهم

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

للانضمام الى ابناء لغتهم ودينهم وارضهم الأم .

القرار يقضي باشتراط ضرورة الحصول على تأشيرة (فيزا) من السفارة التركية في صوفيا ، تعطي وفق اولويات وعلى اسس انسانية بهدف جمع شمل العائلات .

وهذا الهدف اذا كان يحد مؤقتا من استكمال تدفق اعداد النازحين الاتراك من بلغاريا على أمل أن ترضخ الحكومة البلغارية الى مطلب التوقيع على اتفاقية شاملة بشن من نزح قسرا ومن بقي بانتظار النزوح كي لا تضيع حقوق هؤلاء جميعا ، في ماهو ثمرة مئات السنين من الوجود في بلغاريا ، اذ يرجع وجود المسلمين هناك الى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي .

في الانتظار ، واما تصلب السلطات البلغارية واصرارها على نهجها المجافي لأبسط أسس حقوق الانسان وللكثير من المعاهدات الدولية والتى تحفظ حقوق الاقليات ، فان النازحين الى القرى التركية المتاخمة للحدود مع بلغاريا يروون الكثير عن تفاصيل هذه الجريمة الجماعية بحق الانسانية في كل مكان .

لقد اعتقلت السلطات البلغارية اسماعيل محمد حسين في عام ١٩٨٥ ، واودعته سجن بيلينه حيث تعرض لأبشع انواع التعذيب . ولم يكن الامر يحتاج الى محاكمة ولا الى محامي دفاع ، و «الجريمة» العظمى التى ارتكبها هذا المواطن البلغاري من اصل تركي مسلم هي - ببساطة - انه رفض تغيير اسمه الى «صموئيل دميروف ديو لفارف» .

والحال نفسه تعرض له المصارع البلغاري العالمي التركي الاصل عثمان دورااليف الذي ارتكب «جريمة» المشاركة في الاحتجاج على هذه الحملة المكثفة التى يتعرض لها المسلمون الاتراك في بلغاريا .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية